الخشوع في الصلاة

تأليف

عبد الهادي بن حسن وهبي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

جمعية السراج المنير الاسلامية

لبنان - بيروت - هاتف وفاكس: ٧٩١٠٥١/ ٠١ ص.ب: ١٣٦٠٩٣ شوران
الموقع على الشبكة: www.asseraj.net - بريد إلكتروني: asseraj@asseraj.net
رقم الحساب: (٣٣٠٤) بنك البركة - بيروت

المقدمة

إِنَّ الـحَـمدَ للهِ نَـحـمَـدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُـرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ خَيرَ الكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَد عَظَّمَ الصَّلَاةَ فِي القُرآنِ، وَعَظَّمَ أَمرَهَا وَشَرَّفَهَا، وَشَرَّفَ

أَهلَهَا، وَخَصَّهَا بِالذِّكرِ مِن بَينِ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا فِي مَوَاضِعَ مِنَ القُرآنِ كَثِيرَةٍ، وَأَوصَى بِهَا خَاصَّةً.

وَالصَّلَاةُ: آخِرُ مَا أَوصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ عِندَ خُرُوجِهِ مِنَ الدُّنيَا. وَهِيَ آخِرُ مَا يَذهَبُ مِنَ الإِسلَامِ. وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُسأَلُ عَنهُ العَبدُ يَومَ القِيَامَةِ مِن عَمَلِهِ.

إِنَّ الصَّلَاةَ صِلَةٌ وَلِقَاءٌ بَينَ العَبدِ وَالرَّبِّ. فَهِيَ أَفضَلُ الأَعمَالِ، وَعَمُودُ الدِّينِ، وَنُورٌ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَعَونٌ فِي المُهِمَّاتِ.

وَلَقَد «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمرٌ صَلَّى**»(١)، وَمَا يَزَالُ هَذَا الينُبُوعُ الدَّافِقُ فِي

---

(١) رواه أبو داود (١٣١٩)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٣٦١) [طبعة مكتبة المعارف].

مُتَنَاوَلِ كُلِّ مُؤمِنٍ يُرِيدُ زَادًا لِلطَّرِيقِ.

وَإِنَّ المَقصُودَ الأَعظَمَ مِنَ الصَّلَاةِ وَرُوحَهَا: الخُشُوعُ، وَهُوَ: حُضُورُ القَلبِ فِيهَا بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى مَحَبَّةً لَهُ وَإِجلَالًا وَخَوفًا مِن عِقَابِهِ، وَرَغبَةً فِي ثَوَابِهِ، مُستَحضِرًا لِقُربِهِ، فَيَسكُنُ لِذَلِكَ قَلبُهُ، وَتَطمَئِنُّ نَفسُهُ، وَتَسكُنُ حَرَكَاتُهُ؛ مُتَأَدِّبًا بَينَ يَدَي رَبِّهِ، مُستَحضِرًا جَمِيعَ مَا يَقُولُهُ وَيَفعَلُهُ فِي صَلَاتِهِ، مِن أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَتَزُولُ بِذَلِكَ الوَسَاوِسُ وَالأَفكَارُ.

وَهَذَا أَمرٌ تَهَاوَنَ بِهِ النَّاسُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ. فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِن حِينِ مَا يَدخُلُ فِي الصَّلَاةِ، يَبدَأُ قَلبُهُ يَتَجَوَّلُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِي التَّفكِيرِ وَالهَوَاجِسِ. وَلِهَذَا تَجِدُهُ يَخرُجُ

مِن صَلَاتِهِ، وَمَا استَنَارَ بِهَا قَلبُهُ، وَلَا قَرَّت بِهَا عَينُهُ، وَلَا انشَرَحَ بِهَا صَدرُهُ، وَلَا قَوِيَ بِهَا إِيمَانُهُ.

وَلَمَّا كَانَ الأَمرُ بِهَذِهِ الخُطُورَةِ، جَمَعتُ هَذِهِ القُطُوفَ الدَّانِيَةَ تَذكِيرًا بِالخُشُوعِ وَحَثًّا عَلَى طَلَبِهِ وَالقِيَامِ بِحَقِّهِ، رَاجِيًا مِنَ اللهِ تَعَالَى أَن يَنفَعَنِي بِهَا أَوَّلًا، وَأَن يَنفَعَ بِهَا مَن يَقرَؤُهَا مِنَ المُسلِمِينَ.

أَسأَلُ اللهَ الحَيَّ القَيُّومَ، ذَا الجَلَالِ وَالإِكرَامِ: أَن يَجعَلَ عَمَلِي خَالِصًا لِوَجهِهِ الكَرِيمِ. إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

أَسبَابُ الخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المُؤمِنُونَ: ١-٢].

فَلَا يَرجُو الفَلَاحَ إِلَّا الخَاشِعُونَ. جَعَلَنَا اللهُ مِنهُم.

«فَمَن فَاتَهُ خُشُوعُ الصَّلَاةِ، لَم يَكُن مِن أَهلِ الفَلَاحِ»(١).

وَأَصلُ الخُشُوعِ: هُوَ: لِينُ القَلبِ وَرِقَّتُهُ وَسُكُونُهُ وَخُضُوعُهُ وَانكِسَارُهُ، فَإِذَا خَشَعَ القَلبُ تَبِعَهُ خُشُوعُ جَمِيعِ الجَوَارِحِ

(١) «الصلاة وحكم تاركها» (ص١٩٨).

وَالأَعضَاءِ، لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لَهُ[١].

وَقَد وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الأَرضَ بِالخُشُوعِ فَقَالَ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]، فَاهتِزَازُهَا - وَهُوَ ارتِفَاعُهَا - مُزِيلٌ لِخُشُوعِهَا. فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الخُشُوعَ الَّذِي كَانَت عَلَيهِ هُوَ سُكُونُهَا.

وَقَد وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الأَصوَاتَ بِالخُشُوعِ فِي قَولِهِ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨].

فَخُشُوعُ الأَصوَاتِ هُوَ سُكُونُهَا وَانخِفَاضُهَا بَعدَ ارتِفَاعِهَا.

وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي

(١) «مدارج السالكين» (ص٤٣٩).

رُكُوعِهِ فِي الصَّلَاةِ: «... **اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعتُ، وَبِكَ آمَنتُ، وَلَكَ أَسلَمتُ، خَشَعَ لَكَ سَمعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي وَعَظمِي وَعَصَبِي...**»(١).

وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَستَعِيذُ بِاللهِ مِن قَلبٍ لَا يَخشَعُ.

عَن زَيدِ بنِ أَرقَمَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عِلمٍ لَا يَنفَعُ، وَقَلبٍ لَا يَخشَعُ، وَمِن نَفسٍ لَا تَشبَعُ، وَمِن دَعوَةٍ لَا تُستَجَابُ**»(٢).

وَأَوَّلُ مَا تَفقِدُ هَذِهِ الأُمَّةُ الخُشُوعُ؛ فَعَن أَبِي الدَّردَاءِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَوَّلُ شَيءٍ يُرفَعُ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ الخُشُوعُ، حَتَّى لَا**

---

(١) قطعة من حديث: رواه مسلم (٧٧١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

تَرَى فِيهَا خَاشِعًا»[١].

وَهَذَا - وَاللهُ أَعلَمُ - يَعُودُ لِسَبَبَينِ:

الأَوَّلُ: عَدَمُ تَذكِيرِ الدُّعَاةِ وَطَلَبَةِ العِلمِ النَّاسَ بِالخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ.

الثَّانِي: كَثرَةُ الفِتَنِ المَرئِيَّةِ وَالمَسمُوعَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ العَصِيبِ.

وَلَكِن مَا هِيَ الأَسبَابُ الَّتِي تُعِينُ عَلَى الخُشُوعِ؟

السَّبَبُ الأَوَّلُ: الِاستِعدَادُ لِلصَّلَاةِ قَبلَ دُخُولِ الوَقتِ. وَهَذَا يَكُونُ بِعِدَّةِ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: إِسبَاغُ الوُضُوءِ:

كُلُّنَا يَتَوَضَّأُ إِذَا أَرَادَ الصَّلَاةَ، لَكِن أَكثَرُ

---

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٥٧٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٢٥٦٩).

الأَحيَانِ يُرِيدُ الإِنسَانُ أَن يَقُومَ بِشَرطِ العِبَادَةِ فَقَط، وَهَذَا لَا بَأسَ بِهِ، وَيَحصُلُ بِهِ المَقصُودُ، لَكِن هُنَاكَ شَيءٌ أَعلَى وَأَتَمُّ:

أَوَّلًا: إِذَا أَرَدتَ أَن تَتَوَضَّأَ، استَشعِر أَنَّكَ مُمتَثِلٌ لِأَمرِ اللهِ فِي قَولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦]، حَتَّى يَتَحَقَّقَ لَكَ مَعنَى العِبَادَةِ.

ثَانِيًا: إِذَا تَوَضَّأتَ استَشعِر أَنَّكَ مُتَّبِعٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُ قَالَ: «**مَن تَوَضَّأَ نَحوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكعَتَينِ، لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»(١).

---

(١) رواه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

حِينَئِذٍ يَكُونُ الإِخلَاصُ وَالمُتَابَعَةُ.

ثَالِثًا: احتَسِبِ الأَجرَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الوُضُوءِ، لِأَنَّ هَذَا الوُضُوءَ يُكَفِّرُ الخَطَايَا، فَتَخرُجُ خَطَايَا اليَدِ مَعَ آخِرِ قَطرَةٍ مِن قَطَرَاتِ المَاءِ بَعدَ غَسلِ اليَدِ، وَهَكَذَا البَقِيَّةُ.

هَذِهِ المَعَانِي الثَّلَاثَةُ العَظِيمَةُ الجَلِيلَةُ، أَكثَرُ الأَحيَانِ نَغفَلُ عَنهَا[١].

الثَّانِي: تَطيِيبُ رَائِحَةِ الفَمِ وَالأَسنَانِ:

إِنَّ تَطيِيبَ الفَمِ بِالسِّوَاكِ: فِيهِ التَّهَيُّؤُ لِلوُقُوفِ بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَولَا أَن أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي** - أَو: **عَلَى**

---

(١) «شرح الأربعين النووية» (ص ٢٢٩)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

النَّاسِ -، لَأَمَرتُهُم بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»[١].

الثَّالِثُ: التَّزَيُّنُ لِلصَّلَاةِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم فَلْيَلْبَس ثَوبَيهِ، فَإِنَّ اللهَ أَحَقُّ مَن تُزُيِّنَ لَهُ»[٢].

وَإِذَا كَانَ الإِنسَانُ يَستَحيِي أَن يُقَابِلَ مَلِكًا مِنَ المُلُوكِ بِثِيَابٍ رَثَّةٍ، أَو نِصفُ بَدَنِهِ ظَاهِرٌ، فَكَيفَ لَا يَستَحيِي أَن يَقِفَ بَينَ يَدَي مَلِكِ المُلُوكِ سبحانه وتعالى، بِثِيَابٍ غَيرِ مَطلُوبٍ مِنهُ

---

(١) رواه البخاري (٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢).
(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٣٥ - ٢٣٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٦٩).

أَن يَلبَسَهَا؟!(١): كَالَّذِي يُصَلِّي بِثِيَابٍ ضَيِّقَةٍ تُحَجِّمُ عَورَتَهُ.

وَالمُصَلِّي يُفتَرَضُ عَلَيهِ: أَن يَكُونَ أَبعَدَ مَا يَكُونُ عَن أَن يَعصِيَ اللهَ، وَهُوَ لَهُ سَاجِدٌ. فَتَرَى أَلِيَتَيهِ مُجَسَّمَتَينِ، بَل وَتَرَى مَا بَينَهُمَا مُجَسَّمًا!! فَكَيفَ يُصَلِّي هَذَا الإِنسَانُ، وَيَقِفُ بَينَ يَدَي رَبِّ العَالَمِينَ؟!

السَّبَبُ الثَّانِي: أَن يَستَحضِرَ العَبدُ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يُنَاجِيهِ.

لَو أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَصَلَ لَهُ مُقَابَلَةٌ بَينَهُ وَبَينَ المَلِكِ خَمسَ مَرَّاتٍ بِاليَومِ، لَعُدَّ ذَلِكَ مِن مَنَاقِبِهِ وَلَفَرِحَ بِذَلِكَ، وَقَالَ: كُلَّ يَومٍ أُجَالِسُ المَلِكَ خَمسَ مَرَّاتٍ!

---

(١) «الشرح الممتع» (١/ ٣٩٩-٤٠٠).

فَأَنتَ تُنَاجِي مَلِكَ المُلُوكِ ﷻ فِي اليَومِ خَمسَ مَرَّاتٍ عَلَى الأَقَلِّ، فَلِمَاذَا لَا تَفرَحُ بِهَذَا؟! احمَدِ اللهَ عَلَى هَذِهِ النِّعمَةِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ[١].

أَنتَ لَو وَقَفتَ بَينَ يَدَي مَلِكٍ مِن مُلُوكِ الدُّنيَا يُنَاجِيكَ وَيُخَاطِبُكَ، لَو بَقِيتَ مَعَهُ سَاعَتَينِ تُكَلِّمُهُ لَوَجَدتَ ذَلِكَ سَهلًا، تَقِفُ عَلَى قَدَمَيكَ، وَلَا تَنتَقِلُ مِن رُكُوعٍ إِلَى سُجُودٍ وَإِلَى جُلُوسٍ، وَتَفرَحُ أَنَّ هَذَا المَلِكَ يُكَلِّمُكَ، وَلَو جَلَسَ مَعَكَ مُدَّةً طَوِيلَةً؛ فَكَيفَ وَأَنتَ تُنَاجِي رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَكَ، وَرَزَقَكَ، وَأَمَدَّكَ، وَأَعَدَّكَ، تُنَاجِيهِ وَتَهرُبُ هَذَا الهُرُوبَ؟![٢]

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٤٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

وَعَجَبًا لِابنِ آدَمَ كَيفَ يَلعَبُ بِهِ الشَّيطَانُ؟!

هُوَ وَاقِفٌ بَينَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُنَاجِي اللهَ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيهِ بِكَلَامِهِ وَبِالثَّنَاءِ عَلَيهِ وَبِالدُّعَاءِ، ثُمَّ كَأَنَّهُ مَلحُوقٌ فِي صَلَاتِهِ، كَأَنَّ عَدُوًّا لَاحِقٌ لَهُ، فَتَرَاهُ يَهرُبُ مِنَ الصَّلَاةِ، لِمَاذَا؟!

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، نَادَى رَجُلًا كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تَتَّقِي اللهَ، أَلَا تَنظُرُ كَيفَ تُصَلِّي؟ إِنَّ أَحَدَكُم إِذَا قَامَ يُصَلِّي، إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنظُر كَيفَ يُنَاجِيهِ؟!»(١).

وَقَولُهُ ﷺ: «إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ»

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٤٧٤)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه على «صحيح ابن خزيمة» (١/ ٢٤١).

إِشَـارَةٌ إِلَـى أَنَّـهُ يَنبَغِي لَـهُ أَن يَستَحيِيَ مِن نَظَرِ اللهِ إِلَيهِ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيهِ، وَقُربِهِ مِنهُ، وَهُوَ قَائِمٌ بَينَ يَدَيهِ يُنَاجِيهِ؛ فَلَوِ استَشعَرَ هَذَا، لَأَحسَنَ صَلَاتَهُ غَايَةَ الإِحسَانِ، وَأَتقَنَهَا غَايَةَ الإِتقَانِ[١]. وَبَذَلَ مَقدُورَهُ كُلَّهُ فِي تَحسِينِهَا وَتَزيِينِهَا وَإِصلَاحِهَا وَإِكمَالِهَا، لِتَقَعَ مَوقِعًا مِن رَبِّـهِ، فَيَنَالَ بِهَا رِضَـاهُ عَنهُ وَقُربَهُ مِنهُ. «أَفَلَا يَستَحِي العَبدُ مِن رَبِّهِ وَمَولَاهُ وَمَعبُودِهِ أَن لَا يَكُونَ فِي عَمَلِهِ هَكَذَا؟! وَهُـوَ يَرَى المُحِبِّينَ فِي أَشغَالِ مَحبُوبِيهِم مِنَ الخَلقِ كَيفَ يَجتَهِدُونَ فِي إِيقَاعِهَا عَلَى أَحسَنِ وَجهٍ وَأَكمَلِهِ، بَل هُوَ يَجِدُ مِن نَفسِهِ ذَلِكَ مَعَ مَن يُحِبُّهُ مِنَ الخَلقِ، فَلَا أَقَلَّ مِن أَن يَكُونَ

(١) «فتح الباري» (٣/ ١٤٩)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

مَعَ رَبِّهِ بِهَذِهِ المَنزِلَةِ»[١].

وَعَنِ البَيَاضِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ**»[٢].

لَا بُدَّ مِن مُرَاقَبَةِ اللهِ تَعَالَى لِيَستَقِيمَ أَمرُ الصَّلَاةِ، لَا بُدَّ أَن نَضَعَ الدُّنيَا وَرَاءَ ظُهُورِنَا، وَمَاذَا لَو عَلِمَ الشَّخصُ أَنَّ كَلِمَاتِهِ مَسمُوعَةٌ، وَأَنَّهَا بَالِغَةُ السُّلطَانَ لَا مَحَالَةَ، مَاذَا سَيَقُولُ؟ وَكَيفَ يَتَكَلَّمُ؟ أَلَا تَجِدُهُ يَزِنُ الحُرُوفَ وَالكَلِمَاتِ؟ فَكَيفَ بِمَن سَيَمثُلُ أَمَامَ السَّمِيعِ البَصِيرِ العَلِيمِ، الَّذِي لَا تَخفَى عَلَيهِ خَافِيَةٌ؟![٣]

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٣٨٩).
(٢) رواه مالك (١٧٤)، بسند صحيح.
(٣) «الصلاة» (ص ١١)، للشيخ حسين العوايشة حفظه الله تعالى.

وَلَا يَزَالُ العَبدُ يُجَاهِدُ نَفسَهُ، وَيَجتَهِدُ لِيَتَحَقَّقَ بِهَذَا المَقَامِ العَالِي.

السَّبَبُ الثَّالِثُ: قَطعُ الحَرَكَةِ وَالعَبَثِ، وَمُلَازَمَةُ السُّكُونِ.

عَن جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لِي أَرَاكُم رَافِعِي أَيدِيَكُم، كَأَنَّهَا أَذنَابُ خَيلٍ شُمُسٍ؟ اسكُنُوا فِي الصَّلَاةِ**»(١).

فَقَولُهُ ﷺ: «**اسكُنُوا**» يَقتَضِي السُّكُونَ فِي كُلِّ فِعلٍ مِن أَفعَالِ الصَّلَاةِ.

فَكَثِيرٌ مِنَ المُصَلِّينَ لَا تَسكُنُ جَوَارِحُهُ، نَجِدُهُ يَعبَثُ بِيَدَيهِ أَو رِجلَيهِ أَو عَينَيهِ أَو رَأسِهِ، يُحَرِّكُ يَدَهُ يَنظُرُ إِلَى سَاعَتِهِ؛ يَعبَثُ فِي

(١) رواه مسلم (٤٣٠).

لِحيَتِهِ، يُقَدِّمُ رِجلَهُ وَيَرُدُّهَا، يَرفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ. وَرَفعُ البَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ يُنَافِي الأَدَبَ مَعَ اللهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ حَرَامًا؛ وَحَذَّرَ مِنهُ النَّبِيُّ ﷺ تَحذِيرًا بَالِغًا، وَقَالَ فِيهِ قَولًا شَدِيدًا[١].

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيَنتَهِيَنَّ أَقوَامٌ عَن رَفعِهِم أَبصَارَهُم، عِندَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ، إِلَى السَّمَاءِ؛ أَو لَتُخطَفَنَّ أَبصَارُهُم**»[٢].

فَلَمَّا كَانَ رَفعُ البَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ، يُنَافِي الخُشُوعَ؛ حَرَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَوَعَّدَ عَلَيهِ[٣].

السَّبَبُ الرَّابِعُ: أَن يَستَحضِرَ العَبدُ أَنَّ اللهَ

---

(١) «الضياء اللامع» (ص ٣٩٩)، للعلَّامة ابن عثيمين رحمه الله.
(٢) رواه مسلم (٤٢٩).
(٣) «القواعد النورانية» (ص ٧٨).

قَرِيبٌ مِنهُ يَرَاهُ وَيَسمَعُهُ.

عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ القِبلَةِ فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُم إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجهِهِ، فَلَا يَبصُق قِبَلَ وَجهِهِ»(١).

وَمَقصُودُ النَّبِيِّ ﷺ بِذِكرِ هَذَا: أَن يَستَشعِرَ المُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ قُربَ اللهِ مِنهُ، وَأَنَّهُ بِمَرأًى مِنهُ وَمَسمَعٍ، وَأَنَّهُ مُنَاجٍ لَهُ، وَأَنَّهُ يَسمَعُ كَلَامَهُ وَيَرُدُّ عَلَيهِ جَوَابَ مُنَاجَاتِهِ لَهُ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمتُ الصَّلَاةَ بَينِي وَبَينَ عَبدِي نِصفَينِ،

(١) رواه البخاري (٤٠٦ و٧٥٣ و١٢١٣ و٦١١١)، ومسلم (٥٤٧).

وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ العَبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثنَى عَلَيَّ عَبدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبدِي. فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، قَالَ: هَذَا بَينِي وَبَينَ عَبدِي، وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبدِي وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ»[1].

أَفَتَجِدُ أَيُّهَا المُسلِمُ صِلَةً أَقوَى مِن تِلكَ الصِّلَةِ؟! يُجِيبُكَ رَبُّكَ عَلَى قِرَاءَتِكَ آيَةً آيَةً،

(١) رواه مسلم (٣٩٥).

وَهُوَ فَوقَ عَرشِهِ وَأَنتَ فِي أَرضِهِ، عِنَايَةً بِصَلَاتِكَ وَتَحقِيقًا لِصَلَاتِكَ[(١)].

وَمَعَ ذَلِكَ فَالكَثِيرُ مِنَّا فِي هَذِهِ المُنَاجَاةِ مُعرِضٌ بِقَلبِهِ، تَجِدُهُ يَتَجَوَّلُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَهُوَ يَتَذَكَّرُ مَشَارِيعَهُ؛ كَم رَبِحَ؟! وَكَم خَسِرَ؟! يَتَذَكَّرُ مَاذَا أَعطَى؟! وَمَاذَا أَخَذَ؟! يُفَكِّرُ أَينَ سَيَذهَبُ اليَومَ؟! وَمَاذَا سَيَفعَلُ؟! مَعَ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَينَ يَدَيِ اللهِ ﷻ، يُنَاجِي مَن يَعلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ. وَهَذَا مِن جَهلِنَا.

السَّبَبُ الخَامِسُ: إِحضَارُ القَلبِ فِيهَا، وَعَدَمُ انشِغَالِهِ بِهُمُومِ الدُّنيَا وَأَعمَالِهَا؛ وَأَن يُقبِلَ بِقَلبِهِ عَلَى اللهِ ﷻ، وَلَا يَشتَغِلَ بِغَيرِ صَلَاتِهِ.

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٢٤٠).

وَالخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ إِنَّمَا يَحصُلُ لِمَن فَرَّغَ قَلبَهُ لَهَا، وَاشتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَى غَيرِهَا، فَهَذَا إِذَا انصَرَفَ مِنهَا؛ وَجَدَ خِفَّةً مِن نَفسِهِ، وَأَحَسَّ بِأَثقَالٍ قَد وُضِعَت عَنهُ، فَوَجَدَ نَشَاطًا وَرَاحَةً وَرَوحًا، حَتَّى يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَم يَكُن خَرَجَ مِنهَا، لِأَنَّهَا قُرَّةُ عَينِهِ، وَنَعِيمُ رُوحِهِ، وَجَنَّةُ قَلبِهِ، وَمُستَرَاحُهُ فِي الدُّنيَا؛ فَلَا يَزَالُ كَأَنَّهُ فِي سِجنٍ ضَيِّقٍ حَتَّى يَدخُلَ فِيهَا، فَيَستَرِيحَ بِهَا، لَا مِنهَا، فَالمُحِبُّونَ يَقُولُونَ: نُصَلِّي فَنَستَرِيحُ بِصَلَاتِنَا؛ كَمَا قَالَ إِمَامُهُم وَقُدوَتُهُم وَنَبِيُّهُم: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحنَا بِهَا»(١). أَي:

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٢٢٥).

أَقِمهَا لِنَستَرِيحَ بِهَا مِن مُقَاسَاةِ الشَّوَاغِلِ، كَمَا يَستَرِيحُ التَّعبَانُ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَنزِلِهِ وَقَرَّ فِيهِ وَسَكَنَ، وَلَم يَقُل: أَرِحنَا مِنهَا؛ كَمَا يَقُولُ المُبطِلُونَ الغَافِلُونَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَت قُرَّةُ عَينِي فِي الصَّلَاةِ»(١).

وَلَم يَقُل: «بِالصَّلَاةِ» إِعلَامًا بِأَنَّ عَينَهُ إِنَّمَا تَقَرُّ بِدُخُولِهِ فِيهَا، فَقُرَّةُ العَينِ بِالدُّخُولِ فِي الشَّيءِ، أَكمَلُ وَأَتَمُّ مِن قُرَّةِ العَينِ بِهِ قَبلَ الدُّخُولِ(٢).

«وَمَن كَانَت قُرَّةُ عَينِهِ فِي شَيءٍ، فَإِنَّهُ يَوَدُّ أَلَّا يُفَارِقَهُ وَلَا يَخرُجَ مِنهُ، فَإِنَّ قُرَّةَ عَينِ

---

(١) رواه النسائي (٣٩٥٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صحيح سنن النسائي» (٣/ ٥٧) [طبعة مكتبة المعارف].

(٢) «كشف الغطاء» (ص ١٤٠).

العَبدِ: نَعِيمُهُ وَطِيبُ حَياتِهِ بِهِ»[١].

فَالمُحِبُّ رَاحَتُهُ وَقُرَّةُ عَينِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَالغَافِلُ المُعرِضُ لَيسَ لَهُ نَصِيبٌ مِن ذَلِكَ، بَلِ الصَّلَاةُ كَبِيرَةٌ شَاقَّةٌ عَلَيهِ، إِذَا قَامَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى الجَمرِ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنهَا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَيهِ أَعجَلُهَا وَأَسرَعُهَا، فَإِنَّهُ لَيسَ لَهُ قُرَّةُ عَينٍ فِيهَا، وَلَا لِقَلبِهِ رَاحَةٌ بِهَا[٢]. فَهِيَ كَبِيرَةٌ عَلَى هَذَا، وَقُرَّةُ عَينٍ وَرَاحَةٌ لِذَلِكَ[٣].

فَسُبحَانَ مَن فَاضَلَ بَينَ النُّفُوسِ، وَفَاوَتَ بَينَهَا هَذَا التَّفَاوُتَ العَظِيمَ.

عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِن مُسلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحسِنُ

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٥٧٩).
(٢) «رسالة ابن القَيِّم إلى أحد إخوانه» (ص ٣٨).
(٣) «الصَّلاة وحكم تاركها» (ص ١٧٠).

وُضُـوءَهُ، ثُـمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكعَتَينِ: مُقبِلٌ عَلَيهِمَا بِقَلبِهِ وَوَجهِهِ، إِلَّا وَجَبَت لَهُ الجَنَّةُ»[1].

وَلِـهَـذَا جَـاءَ الـنَّهيُ عَـنِ الِالـتِـفَـاتِ فِي الصَّلَاةِ، وَهُوَ نَوعَانِ:

أَحَدُهُمَا: التِفَاتُ القَلبِ عَـنِ اللهِ ﷻ: بِأَن يَنصَرِفَ إِلَى الدُّنيَا وَأَشغَالِهَا، وَلَا يَتَفَرَّغَ لِرَبِّهِ تَعَالَى.

النَّوعُ الثَّانِي: الِالـتِـفَـاتُ بِـالـنَّظَرِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَالمَشرُوعُ قَصْرُ النَّظَرِ عَلَى مَوضِعِ سُجُودِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ مِن لَوَازِمِ الخُشُوعِ، وَيَقطَعُ عَنهُ الِاشتِغَالَ بِالمَنَاظِرِ الَّتِي حَولَهُ.

عَـن عَـائِـشَـةَ رضي الله عنها قَـالَـت: سَـأَلـتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ عَـنِ التِـفَـاتِ الـرَّجُـلِ فِي

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤).

صَلَاتِهِ؟ فَقَالَ: «اختِلَاسٌ يَختَلِسُهُ الشَّيطَانُ مِن صَلَاةِ العَبدِ»[١].

يَعنِي: أَنَّ الشَّيطَانَ يَستَرِقُ مِنَ العَبدِ فِي صَلَاتِهِ التِفَاتَهُ فِيهَا، وَيَختَطِفُهُ مِنهُ اختِطَافًا، حَتَّى يَدخُلَ عَلَيهِ بِذَلِكَ نَقصٌ فِي صَلَاتِهِ وَخَلَلٌ[٢].

فَإِذَا كَانَ هَذَا التِفَاتُ طَرفِهِ أَو لَحظِهِ، فَكَيفَ التِفَاتُ قَلبِهِ إِلَى مَا سِوَى اللهِ؟ هَذَا أَعظَمُ نَصِيبِ الشَّيطَانِ مِنَ العُبُودِيَّةِ[٣].

وَعَنِ الحَارِثِ الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «... وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُم بِالصَّلَاةِ،

---

(١) رواه البخاري (٧٥١ و٣٢٩١).
(٢) «فتح الباري» (٦/ ٤٤٧)، لابن رجب رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٧٢) [طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت].

فَإِذَا صَلَّيتُم فَلَا تَلتَفِتُوا؛ فَإِنَّ اللهَ يَنصِبُ وَجهَهُ لِوَجهِ عَبدِهِ فِي صَلَاتِهِ، مَا لَم يَلتَفِت»[١].

فَكَيفَ يَجُوزُ لِمَن صَدَّقَ بِأَنَّ اللهَ مُقبِلٌ عَلَيهِ بِوَجهِهِ أَن يَلتَفِتَ، أَو يَتَشَاغَلَ بِغَيرِ الإِقبَالِ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ، إِذ أَخبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ مُقبِلٌ عَلَيهِ بِوَجهِهِ، فَهَل يَفعَلُ ذَلِكَ مَن فَعَلَهُ إِلَّا قِلَّةَ مُبَالَاةٍ بِالمُقبِلِ عَلَيهِ، أَو كَيفَ يَجُوزُ لِمَن عَرَفَ أَنَّ اللهَ مُقبِلٌ عَلَيهِ وَهُوَ مُنَاجٍ لَهُ، أَن يُعرِضَ عَنهُ بِمَا قَلَّ أَو كَثُرَ؟![٢]

«وَمَثَلُ مَن يَلتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ بِبَصَرِهِ أَو بِقَلبِهِ: مَثَلُ رَجُلٍ قَدِ استَدعَاهُ السُّلطَانُ، فَأَوقَفَهُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ١٤٥) [طبعة مكتبة المعارف].

(٢) «تعظيم قدر الصَّلاة» (١/ ١٧٢ - ١٧٣) - بتصرُّف -، للإمام محمد ابن نصر المروزي المتوفَّى سنة ٣٩٤هـ.

بَينَ يَدَيهِ، وَأَقبَلَ يُنَادِيهِ وَيُخَاطِبُهُ، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَلتَفِتُ عَنِ السُّلطَانِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَقَدِ انصَرَفَ قَلبُهُ عَنِ السُّلطَانِ، فَلَا يَفهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ؛ لِأَنَّ قَلبَهُ لَيسَ حَاضِرًا مَعَهُ، فَمَا ظَنُّ هَذَا الرَّجُلِ أَن يَفعَلَ بِهِ السُّلطَانُ؟! أَفَلَيسَ أَقَلُّ المَرَاتِبِ فِي حَقِّهِ أَن يَنصَرِفَ مِن بَينِ يَدَيهِ مَمقُوتًا مُبعَدًا، قَد سَقَطَ مِن عَينَيهِ؟!»[(١)]. فَمَا الظَّنُّ بِالمَلِكِ الحَقِّ المُبِينِ الَّذِي هُوَ رَبُّ العَالَمِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ؟![(٢)]

السَّبَبُ السَّادِسُ: ذِكرُ المَوتِ:

عَن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اذكُرِ المَوتَ فِي صَلَاتِكَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا**

---

(١) «الوابل الصَّيِّب» (ص ٣٥-٣٦).
(٢) «كشف الغطاء عَن حكم سماع الغناء» (ص ١٢٢).

ذَكَرَ المَوتَ فِي صَلَاتِهِ، لَحَرِيٌّ أَن يُحسِنَ صَلَاتَهُ؛ وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ، لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُصَلِّي صَلَاةً غَيرَهَا...»(١).

انظُرُوا - يَرحَمُنِي اللهُ وَإِيَّاكُم - إِلَى صَلَاتِنَا، أَهِيَ حَسَنَةٌ أَم لَا؟

لَيسَ مِنَ العَجَبِ أَلَّا تَرَى الحُسنَ وَالإِتقَانَ فِيهَا؛ ذَلِكَ لِأَنَّ ذِكرَ المَوتِ فِيهَا مَيِّتٌ أَو شِبهُ مَيِّتٍ!

لَا يَنبَغِي لَنَا أَبَدًا أَن نَنسَى قَولَهُ ﷺ: «فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ المَوتَ فِي صَلَاتِهِ، لَحَرِيٌّ أَن يُحسِنَ صَلَاتَهُ».

أَلَا نَفهَمُ مِن ذَلِكَ: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا لَم يَذكُرِ

---

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» (١٧٥٥)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الجامع» (٨٤٩).

المَوتَ فِي صَلَاتِهِ، لَجَدِيرٌ أَلَّا يُحسِنَهَا؟!

لَقَد أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُسلِمَ أَن يَذكُرَ المَوتَ فِي صَلَاتِهِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَبَبٌ فِي تَحسِينِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ لِلمَوتِ رَهبَةً فِي النُّفُوسِ، وَبِهِ خَوَاتِيمُ الأَعمَالِ، وَمَا بَعدَهُ أَشَدُّ رَهبَةً وَأَكثَرُ تَخوِيفًا، فَأَينَ المَفَرُّ مِن ضَغطَةِ القَبرِ؟ وَمَاذَا سَيَكُونُ جَوَابُنَا حِينَ نُسأَلُ فِي القَبرِ؟ ثُمَّ إِنَّنَا لَا نَعرِفُ أَينَ مَصِيرُنَا، أَإِلَى جَنَّةٍ عَرضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرضُ، أَم إِلَى نَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ؟ وَهَكَذَا يَستَعرِضُ الإِنسَانُ صُوَرًا وصُوَرًا فِي المَوتِ وَمَا بَعدَهُ، فَيُصَلِّي صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُصَلِّي صَلَاةً غَيرَهَا[1].

---

(١) «الصلاة» (ص ٩ - ١٠)، للشيخ حسين العوايشة حفظه الله تعالى.

عَن أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسولَ اللهِ، عَلِّمنِي وَأَوجِز. قَالَ: «إِذَا قُمتَ فِي صَلَاتِكَ، فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ»(١).

يعني: يَستَشعِرُ أَنَّهُ يُصَلِّي صَلَاةً لَا يُصَلِّي بَعدَهَا صَلَاةً أُخرَى، فَيَحمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى إِتقَانِهَا وَتَكمِيلِهَا وَإِحسَانِهَا.

فَإِنَّهُ مَن ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَبقَى إِلَى صَلَاةٍ أُخرَى، جَدَّ وَاجتَهَدَ فِي إِتقَانِ الصَّلَاةِ.

فَهَذِهِ مَوعِظَةٌ عَظِيمَةٌ إِذَا اتَّعَظَ الإِنسَانُ بِهَا، نَفَعَتهُ وَصَلَحَت أَحوَالُهُ(٢). فَهَل

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٧١)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٨١) [طبعة مكتبة المعارف].

(٢) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٤٠١)، للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

مِن سَامِعٍ مُنِيبٍ، وَأَوَّاهٍ حَلِيمٍ لِلنَّصِيحَةِ يَستَجِيبُ؟!(١)

السَّبَبُ السَّابِعُ: أَن يَعلَمَ العَبدُ أَنَّ الشَّيطَانَ حَرِيصٌ عَلَى صَرفِ قَلبِ المُصَلِّي عَنِ اللهِ تَعَالَى.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدبَرَ الشَّيطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، فَإِذَا قُضِيَ أَقبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ أَقبَلَ؛ حَتَّى يَخطِرَ بَينَ الإِنسَانِ وَقَلبِهِ، فَيَقُولَ: اذكُر كَذَا، وَكَذَا...»(٢).

وَالعَبدُ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ؛ غَارَ الشَّيطَانُ مِنهُ، فَإِنَّهُ قَامَ فِي أَعظَمِ مَقَامٍ وَأَغيَظِهِ

---

(١) «الأفنان الندية» (١/ ٢١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٨ و١٢٢٢ و١٢٣١ و٣٢٥٨)، ومسلم (٣٨٩).

لِلشَّيطَانِ، وَأَشَدِّهِ عَلَيهِ، فَهُوَ يَحرِصُ كُلَّ الحِرصِ، وَيَجتَهِدُ كُلَّ الاِجتِهَادِ: أَن يَحُولَ بَينَهُ وَبَينَ قَلبِهِ، فَيُذَكِّرَهُ فِي الصَّلَاةِ مَا لَم يَكُن يَذكُرُ قَبلَ دُخُولِهِ فِيهَا، حَتَّى رُبَّمَا كَانَ قَد نَسِيَ الشَّيءَ وَالحَاجَةَ، وَأَيِسَ مِنهَا، فَيُذَكِّرَهُ إِيَّاهَا فِي الصَّلَاةِ؛ لِيَشغَلَ قَلبَهُ بِهَا، وَيَأخُذَهُ عَنِ اللهِ ﷻ، فَيُنقِصَ «عَلَيهِ كَمَالَهَا وَفَوَائِدَهَا وَثَمَرَاتِهَا مِن خُشُوعِهَا وَحُضُورِهَا، وَمَا يَتَنَعَّمُ بِهِ المُصَلِّي وَتَقَرُّ بِهِ عَينُهُ، مِن ذِكرِ اللهِ وَمُنَاجَاتِهِ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ»[1] فَيَقُومَ فِيهَا بِلَا قَلبٍ، فَلَا يَنَالُ مِن إِقبَالِ اللهِ تَعَالَى وَكَرَامَتِهِ وَقُربِهِ مَا يَنَالُهُ المُقبِلُ عَلَى رَبِّهِ ﷻ، الحَاضِرُ بِقَلبِهِ فِي

(١) «فتح الباري» (٤/ ١٤٠)، لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ.

صَلَاتِهِ، فَيَنصَرِفَ مِن صَلَاتِهِ مِثلَ مَا دَخَلَ فِيهَا بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ، وَأَثقَالُهُ لَم تَخِفَّ عَنهُ بِالصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ سَيِّئَاتِ مَن أَدَّى حَقَّهَا، وَأَكمَلَ خُشُوعَهَا، وَوَقفَ بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى بِقَلبِهِ وقَالَبِهِ[1]، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَمرِو بنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ - فِي فَضلِ الوُضُوءِ وَثَوَابِهِ -، ثُمَّ قَالَ: «**فَإِن هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثنَى عَلَيهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهلٌ، وَفَرَّغَ قَلبَهُ للهِ، إِلَّا انصَرَفَ مِن خَطِيئَتِهِ كَهَيئَتِهِ يَومَ وَلَدَتهُ أُمُّهُ**»[2].

فَتَأَمَّل فِي صَلَاتِكَ وَانظُر هَل تُفَرِّغُ قَلبَكَ للهِ، تُصَلِّي للهِ تَعَالَى كَأَنَّكَ تَرَاهُ، قَدِ

---

(١) «الوابل الصَّيِّب» (ص ٣٧).
(٢) رواه مسلم (٨٣٢).

اجتَمَعَ هَمُّكَ كُلُّهُ عَلَى اللهِ، وَصَارَ ذِكرُهُ وَمُرَاقَبَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَالأُنسُ بِهِ فِي مَحَلِّ الوَسَاوِسِ أَم لَا؟![1]

وَإِنَّمَا يَقوَى العَبدُ عَلَى حُضُورِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَاشتِغَالِهِ فِيهَا بِرَبِّهِ ﷻ: إِذَا قَهَرَ شَهوَتَهُ وَهَوَاهُ[2]، وَإِلَّا فَقَلبٌ أُشرِبَ حُبَّ المُسَلسَلَاتِ وَالقَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ وَالأُغنِيَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، كَيفَ يَخشَعُ فِي الصَّلَاةِ؟!

السَّبَبُ الثَّامِنُ: أَن يَعلَمَ العَبدُ بِأَنَّ رُوحَ الصَّلَاةِ وَمَقصُودَهَا الأَعظَمَ، حُضُورُ القَلبِ بَينَ يَدَيِ اللهِ، وَمُنَاجَاتُهُ بِكَلَامِهِ، وَذِكرُهُ

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٣٠٣ - ٣٠٤)، لابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «الوابل الصَّيِّب» (ص ٤١ - ٤٢).

وَالثَّنَاءُ عَلَيهِ، وَدُعَاؤُهُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيهِ، وَطَلَبُ القُربَةِ عِندَهُ، وَرَجَاءُ ثَوَابِهِ؛ وَأَنَّ الصَّلَاةَ بِلَا خُشُوعٍ، كَالجِسمِ بِلَا رُوحٍ، وَكَالقُشُورِ بِلَا لُبٍّ. أَفَلَا يَستَحيِي العَبدُ أَن يُوَاجِهَ سَيِّدَهُ بِمِثلِ ذَلِكَ؟!

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشرُ صَلَاتِهِ، تُسُعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصفُهَا»(١). يَعنِي -وَاللهُ أَعلَمُ-: أَنَّ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ حُضُورِ قَلبِهِ فِيهَا، وَإِحسَانِهَا.

وَكُلٌّ مِنَّا يَعلَمُ صَلَاتَهُ وَأَينَ قَلبُهُ فِيهَا؟

---

(١) رواه أبو داود (٧٩٦)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٢٢٦).

وَكَيفَ تَفَرُّغُهُ لَهَا وَاهتِمَامُهُ بِهَا؟! وَاللهُ المُستَعَانُ وَعَلَيهِ التُّكلَانُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

السَّبَبُ التَّاسِعُ: أَن يَعلَمَ العَبدُ أَنَّ الصَّلَاةَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيهِ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبدُ يَومَ القِيَامَةِ مِن عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِن صَلَحَت فَقَد أَفلَحَ وَأَنجَحَ، وَإِن فَسَدَت فَقَد خَابَ وخَسِرَ...**»[1].

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيبَ فِيهَا، وَسَوفَ يَأتِي يَومٌ نَقِفُ فِيهِ بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى

---

(١) رواه الترمذي (٤١٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٢٣٧).

لِلحِسَابِ، وَأَوَّلُ شَيءٍ نُحَاسَبُ عَلَيهِ فِي ذَلِكَ اليَومِ الرَّهِيبِ الصَّلَاةُ؛ فَإِن صَلَحَت فَقَد حَصَلَ لِلعَبدِ كُلُّ مَرغُوبٍ، وَنَجَا مِن كُلِّ مَرهُوبٍ. وَإِن فَسَدَت «فَيَا لَهَا مِن خَسَارَةٍ فَادِحَةٍ لَا تَنجَبِرُ، وَقَاصِمَةٍ لِلظَّهرِ لَا تَزُولُ أَو تَبرَأُ، وَعَثرَةٍ مُردِيَةٍ لَا تُقَالُ»(١).

فَاستِحضَارُ هَذَا الأَمرِ العَظِيمِ، يَدفَعُنَا لِتَحسِينِ صَلَاتِنَا وَالخُشُوعِ فِيهَا.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لِلعَبدِ بَينَ يَدَيِ اللهِ مَوقِفَانِ: مَوقِفٌ بَينَ يَدَيهِ فِي الصَّلَاةِ، وَمَوقِفٌ بَينَ يَدَيهِ يَومَ لِقَائِهِ. فَمَن قَامَ بِحَقِّ المَوقِفِ الأَوَّلِ هُوِّنَ عَلَيهِ المَوقِفُ الآخَرُ، وَمَنِ استهَانَ بِهَذَا

(١) «الأفنان الندية» (١/ ٢١٧).

المَوقِفِ وَلَم يُوَفِّهِ حَقَّهُ شُدِّدَ عَلَيهِ ذَلِكَ المَوقِفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾ [الدهر: ٢٦ - ٢٧][1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَيُهَوَّنُ ذَلِكَ اليَوْمُ عَلَى الْمُؤْمِنِ: كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ»[2].

هَذِهِ الأَسبَابُ العَظِيمَةُ الجَلِيلَةُ: نَغفَلُ عَنهَا أَكثَرَ الأَحيَانِ.

---

(١) «فوائد الفوائد» (ص ٣٩٨).

(٢) رواه أبو يعلى (٦٠٢٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٨٩).

وَإِنَّـهُ لَجَدِيرٌ بِنَا: أَن نَسعَى لِتَحقِيقِهَا وَالعِنَايَةِ بِهَا، وَأَن نَجعَلَهَا نُصبَ أَعيُنِنَا وَحَدِيثَ نُفُوسِنَا، لِنَحصَلَ عَلَى النَّتَائِجِ الحَمِيدَةِ وَالثَّمَرَاتِ الجَلِيلَةِ.

فَرَحِمَ اللهُ «مَن أَقبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ خَاشِعًا خَاضِعًا، ذَلِيلًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَائِفًا دَاعِيًا رَاغِبًا، وَجِلًا مُشفِقًا رَاجِيًا. وَجَعَلَ أَكبَرَ هَمِّهِ فِي صَلَاتِهِ لِرَبِّهِ تَعَالَى، وَمُنَاجَاتِهِ إِيَّاهُ، وَانتِصَابِهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا، وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا، وَفرَّغَ لِذَلِكَ قَلبَهُ وَثَمَرَةَ فُؤَادِهِ.

فَإِنَّهُ لَا يَدرِي: هَل يُصَلِّي صَلَاةً بَعدَ الَّتِي هُوَ فِيهَا، أَو يُعَاجَلُ قَبلَ ذَلِكَ؟ فقَامَ بَينَ يَدَي رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَحزُونًا مُشفِقًا، يَرجُو قَبُولَهَا، وَيَخَافُ رَدَّهَا؛ فَإِن قَبِلَهَا سَعِدَ، وَإِن رَدَّهَا

شَقِيَ»[١].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم].

يَسَّرَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم لِليُسرَى، وَجَعَلَنَا مِمَّن ذُكِّرَ فَانتَفَعَ بِالذِّكرَى.

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٦٩) -بتصرُّف يسير-، للقاضي ابن أبي يَعلَى.

الخَاتِمَةُ

الحَمدُ للهِ الَّذِي بِنِعمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَن عَلَّمَنَا البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ.

الصَّلَاةُ شَارِحَةٌ لِلصَّدرِ، مُبَيِّضَةٌ لِلوَجهِ، مُنَوِّرَةٌ لِلقَلبِ، مُنَشِّطَةٌ لِلجَوَارِحِ، دَافِعَةٌ لِلنِّقَمِ، حَافِظَةٌ لِلنِّعَمِ، جَالِبَةٌ لِلرِّزقِ، مُنزِلَةٌ لِلرَّحمَةِ، كَاشِفَةٌ لِلغُمَّةِ، حَافِظَةٌ لِلصِّحَّةِ، مُفرِحَةٌ لِلنَّفسِ، مُذهِبَةٌ لِلكَسَلِ، مُغَذِّيَةٌ لِلرُّوحِ، مُبعِدَةٌ مِنَ الشَّيطَانِ، مُقَرِّبَةٌ مِنَ الرَّحمَنِ، تَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ

تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

[العنكبوت: ٤٥].

الصَّلَاةُ تَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ، لَكِن مَتَى؟ إِذَا كَانَت صَلَاةً مُقَامَةً عَلَى الوَجهِ الأَكمَلِ؛ وَلِهَذَا نَجِدُنَا كَثِيرًا نُصَلِّي، وَلَا نَجِدُ القُلُوبَ تَتَغَيَّرُ أَو تَكرَهُ الفَحشَاءَ أَوِ المُنكَرَ، أَو يَكُونُ الإِنسَانُ بَعدَ الصَّلَاةِ خَيرًا مِنهَا قَبلَهَا، لَا نَجِدُ هَذَا؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي نُصَلِّيهَا لَيسَتِ الصَّلَاةَ الَّتِي تَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ، وَإِلَّا فَكَلَامُ اللهِ حَقٌّ، وَوَعدُهُ صِدقٌ، الصَّلَاةُ تَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ؛ إِذَا كُنتَ قَد هَمَمتَ بِذَنبٍ، أَو كَانَ قَلبُكَ يَمِيلُ إِلَى

المَعَاصِي، فَإِنَّكَ إِذَا صَلَّيتَ انمَحَى ذَلِكَ كُلُّهُ، لَكِن بِشَرطِ أَن تَكُونَ الصَّلَاةُ الَّتِي تُرَادُ مِنكَ، وَالَّتِي تُرِيدُهَا أَنتَ للهِ ﷻ، صَلَاةً أَكمَلَ مَا يَكُونُ.

وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَينَا - وَنَسأَلُ اللهَ أَن يُعِينَنَا - أَن نَعتَنِيَ بِصَلَاتِنَا، نُكَمِّلُهَا بِقَدرِ المُستَطَاعِ بِجَمِيعِ أَركَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَوَاجِبَاتِهَا وَمُكَمِّلَاتِهَا؛ فَإِنَّهَا تَنهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ[1]. وَأَيُّ شَيءٍ أَعظَمُ مِن هَذَا، وَأَجَلُّ وَأَكمَلُ؟!

قَالَ ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: مَن لَم تَأمُرهُ الصَّلَاةُ بِالمَعرُوفِ، وَتَنهَاهُ عَنِ المُنكَرِ،

(١) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٢٣٢).

لَم يَزدَد بِهَا إِلَّا بُعدًا[١]. نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ لِأَنَّهَا لَيسَتِ الصَّلَاةَ المَطلُوبَةَ مِنَّا، الصَّلَاةُ المَطلُوبَةُ مِنَّا أَن تَكُونَ صَلَاةً بِمَعنَى الكَلِمَةِ.

فَنَسأَلُ اللهَ تَعَالَى أَن يَجعَلَنَا وَإِيَّاكُم: مِمَّن تَنهَاهُ صَلَاتُهُ عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ، وَأَن يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنكُم، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص ١٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٤٣). وسنده صحيح، كما قال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٠١).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣).

الفِهرِسُ

الموضوع	الصفحة
المُقَدِّمَةُ	٣
أَسبَابُ الخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ	٧
السَّبَبُ الأَوَّلُ: الِاستِعدَادُ لِلصَّلَاةِ قَبلَ دُخُولِ الوَقتِ	١٠
السَّبَبُ الثَّانِي: استِحضَارُ العَبدِ وُقُوفَهُ بَينَ يَدَي اللهِ	١٤
السَّبَبُ الثَّالِثُ: قَطعُ الحَرَكَةِ وَالعَبَثِ، وَمُلَازَمَةُ السُّكُونِ	١٩
السَّبَبُ الرَّابِعُ: استِحضَارُ العَبدِ قُربَ اللهِ مِنهُ	٢٠
السَّبَبُ الخَامِسُ: إِحضَارُ القَلبِ، وَعَدَمُ انشِغَالِهِ بِهُمُومِ الدُّنيَا	٢٣
السَّبَبُ السَّادِسُ: ذِكرُ المَوتِ	٣٠
السَّبَبُ السَّابِعُ: عِلمُ العَبدِ أَنَّ الشَّيطَانَ حَرِيصٌ عَلَى صَرفِ قَلبِهِ	٣٤
السَّبَبُ الثَّامِنُ: عِلمُ العَبدِ بِأَنَّ رُوحَ الصَّلَاةِ حُضُورُ القَلبِ	٣٧
السَّبَبُ التَّاسِعُ: عِلمُ العَبدِ أَنَّ الصَّلَاةَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيهِ	٣٩
الخَاتِمَةُ	٤٤